اللغة العربية في كازاخستان:
في ضوء الماضي والحاضر

عسل عبادوالله يوفا

أن اللغة العربية هي إحدى اللغات أكثر انتشارا في العالم، وإحدى من اللغات الرسمية والعملية الستة للجمعية العامة وغيرها من هيئات منظمة الامم المتحدة. حسب النتائج الاعلامية والاحصائية المختلفة، أن العدد الاجمالي للسكان الناطقين باللغة العربية يتراوح ما بين ١٩٠ و٢٥٠ مليون نسمة. كذلك يستخدمها حوالي ٥٠ مليون شخص بصفة اللغة الثانية. تنتسب اللغة العربية الى الفرع السامي من العائلة اللغوية الأفروآسيوية. حسب التصنيف التقليدي تنتسب اللغة العربية الى مجموعة اللغات السامية الجنوبية، وفي نفس الوقت لها صلة مع اللغات النقشية العريقة في جنوب الجزيرة العربية ومع اللغات السامية الإثيوبية المنتشرة في أثيوبيا وايريتريا. لكنه في نتيجة اكتشاف المعلومات الجديدة عن اللغات السامية العريقة والمعاصرة وايضا بعد ادماج في الدراسة المقارنة للغات السامية مناهج جديدة وخاصة منهج علم مقارنة اللغة التاريخية تم وضع التصنيف الأكثر دقة للغات السامية، وبموجبها تمثل اللغة العربية عن مجموعة اللغات الجنوبية المركزية المستقلة.

من اهم احداث في تاريخ اللغة العربية هو نشأة الدين الاسلامي ووضع الكتابة الخاصة في القرن السابع الميلادي. ان الاثار النقشية الحجرية الأولى هي كتابات عن حركة أبناء العشائر ورعاة الجمال وايضا النقوش المكتوبة على المقابر والنقوش الذكرية. تشكلت الصورة الاخيرة للغة العربية على اساس الخط النبطي في فترة تدوين نصوص القرآن الكريم ودعم وتطوير حضارة الكتابة.

تتميز الفترة من القرن الثامن الى القرن الثاني عشر في تاريخ اللغة العربية بوحدة اللغة وضبط انواعها ووضع انواعها ومناهجها الادابية والكتابية، تطوير الشعر الكلاسيكي، النثرة الفنية والعلمية.

اصبحت اللغة العربية تنتشر بنشاط في دول الشرق الأوسط والشرق الأقصى باعتبارها اللغة العالمية للأدب والعلوم. ولم تتجنب هذه العملية البلاد الكازاخية العظيمة. تم انتشار اللغة في إقليم آسيا الوسطى في القرن الثامن الميلادي من قبل المبشرين الدينيين الناطقين بها.

بعد ان دخل حاكم امبوراطورية كاراخان السيد ساطوك بوغرا خان في الاسلام في عام ٩٣٢م أصبحت اللغة العربية تنتشر تدريجيا عبر الدين. ثم في عام ٩٦٠م في عهد ابنه موسى خان اعلن اهل امبراطورية كاراخان دين الاسلام بالدين الرسمي للدولة. لعب دين الاسلام دورا ايجابيا في اهتمام المتناقلين من آسيا الوسطى بالقيم الروحية للحضارة العالمية. وبفضل اللغة العربية انهم استطاعوا الاطلاع على أدب وفلسفة وتاريخ الشعوب الاخرى. اصبحت الثقافة العربية في ذلك الحين مركزا للثقافة العالمية، وهي كانت بيئة تحفظ انجازات

الحضارات القديمة والتي نشأت على اساسها فيما بعد ثقافة النهضة النوع الاوروبي الجديد للتفكير. بفضل الثقافة العربية الاسلامية ما غابت القيم الثقافية للعصور القديمة وتم الحفظ باستمرارية الحضارات، وفي ذلك تكمن معناها التاريخية العظيمة.

ان الاهتمام بالثقافة الاسلامية اعطى دافعا قويا لتطوير الثقافة في كازاخستان. بدأ أهل تركستان يتعرفون الى انجازات الحضارة العالمية وكانوا يدرسون الفلسفة العالمية، الثقافة مع التعرف الى انجازات العلوم.

في ذلك الحين كانت اللغة العربية تعد لغة عالمية لأنه كان يتحدث بها أغلب علماء العالم. المثال البين له هو النشاط الابداعي للعالم العظيم من كازاخستان الفارابي التركي الذي تعلم اللغة العربية في بغداد وكان يدرس الطب والعلوم المنطقية والفلسفة اليونانية العريقة والموسيقى، اللغات والرياضيات. أثر المفكر تأثيرا

شديدة على الجو الفكري لذلك العصر ولذلك أطلقوا له لقب "المعلم الثاني"، بعد اريستوتل. هو اسهم مساهمة ملموسة في تطوير علم اللغة العربية والطبيعة السامية للكلمات والعبارات. لعبت اللغة العربية دورا هاما في مصير ابرز شخصيات كازاخستان مثل أ.جوهري، اسحاق الفارابي،القيماقي، اريستان باب، يوسف بلاساغوني، احمد ايغونيكي، سليمان باقرغاني، الحاج احمد الياساوي الذين كانو يتقنون اللغة العربية التي مكنتهم من تعميق معارفهم ودراستهم العلمية في مختلف المجالات.

كانت تستخدم الكتابة العربية في آسيا الوسطى وكازاخستان في المدارس الدينية والعلمانية، في المراسلات الرسمية. تم تزيين أعمدة وافاريز وقبات المنشآت والعمارات بالزخاريف العربية. في سبيل المثال أن جدران وحيطان الضريح الكبير للحاج احمد الياساوي في مدينة تركستان مزينة بالنصوص القرآنية المكتوبة بالخط العربي. أن الضريح لكونه المجمع الجميل للقصور والكنائس تم دمجه في قائمة التراث العالمي لليونسكو. كذلك كان العلماء والشعراء يكتبون مؤلفاتهم في اللغة العربية، عن طريق تزيين صفحاتها بالرسومات والمنمنمات على مستوى فني عال.

في عام ١٩١٢ م قام رجل الدولة والعالم الكازاخي البارز أحمد بايتورسينوف بإعادة وضع الكتابة الكازاخية بالحروف العربية وهكذا أمكن الملايين من الكازاخ المقيمين في الخارج استخدامها. هو ما استخدم جميع الحروف التي تنتسب إلى العرب فقط ولا توجد في اللغة الكازاخية وأضاف الحروف الخاصة للغة الكازاخية. إن الابجدية الجديدة الذي أطلقت له التسمية التالية "علوم الكتابة الجديدة" حتى الآن يستخدم من قبل الكازاخ المقيمين في الصين، أفغانستان وإيران.

بعد عام ١٩١٧ م بدأت في كازاخستان حركة الانتقال إلى الحروف اللاتينية. بعد النقاشات العديدة في عام ١٩٢٩ م تم تحويل الابجدية الكازاخي الذي تم وضعه عن طريق استخدام الحروف العربية إلى الكتابة اللاتينية. لكنه في عام ١٩٣٩ م في كازاخستان انتهى عصر استخدام الحروف اللاتينية في الكتابة . ففي عام ١٩٤٠ م على أساس الكتابة الروسية تم انتقال الابجدية الكازاخية المكونة من ٤٢ حرفا إلى الكتابة الكريليكية وذلك طبقا لخصائص أصوات اللغة الكازاخية.

مع ذلك أن اللغة الكازاخية التي توجد فيها الكلمات الدخيلة وأكثر من ٣٠٠٠ كلمة عربية والمصطلحات المشتركة العديدة مع اللغة العربية. إن أغلبية الكلمات الكازاخية ولدت من الكلمات العربية أو العبارات العربية. لذلك أن تقاليد وثقافة الشعب الكازاخية مرتبطة بدين الإسلام وأثره على أغلب المجالات الاجتماعية. في سبيل المثال هناك أسماء مواطني كازاخستان، وخاصة الكازاخ، الاوزبك، القيرغيز، الاتراك، الاذربيجانيين، الدناغان في أغلبية الأحوال تترجم من اللغة العربية. الأسماء الأكثر انتشارا في كازاخستان هي أحمد ، حميد، غاني، علي، باكر، عبدالله، وعائشه، فاطمة، واسم ، عادية، عسل، صالحه والخ.

في الوقت الحاضر يتم تدريس اللغة العربية في كازاخستان في الجهتين وهما اللغة العربية الدينية واللغة العربية العلمية. يتم تعليم العربية الدينية من قبل الأساتذة في المدارس التعليمية الدينية التي تتخصص في دراسة وحفظ النصوص من القرآن الكريم. أما اللغة العربية العلمية يتم تعليمها في المراكز التعليمية والجامعات بمشاركة المترجمين والمتخصصين في العربية. يجدر الإشارة إلى أنه في مجال تعليم اللغة العربية في كازاخستان توجد بعض المسائل الهامة التي تطلب حلها الفوري وهي:-

اولا، هناك نقص المتخصصين في مجال تعليم اللهجات العربية.

ثانيا، نقص الكتب التعليمية والمناهج الدراسية المكتوبة بالكازاخي او الروسي والخاصة لتعليم اللغة العربية.

ثالثا، لا توجد لدى مدرسي اللغة العربية في كازاخستان مناهج وبرامج مضبوطة لتعليم اللغة العربية.

في ظل العولمة وحوار الحضارات والثقافات يجب الإشارة إلى أهمية تعليم العربية. إن الحضارة الإسلامية لعبت دورا حازما في المسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية على مستوى عالمي. يحتاج العالم لنقل الثقافات ودراسة الكتابة العبي وذلك لغرض توفير الصلة الرصينة وتبادل ثقافات وحضارات الشرق والغرب.

إن جمهورية كازاخستان هي لكونها الدولة متعدد القوميات والديانات والتي يسكن فيها ممثلو ١٣٠ قوم و ١٨ ديانة أكدت مرارا استعدادها لعقد حوار الثقافات والحضارات وتعرض النموذج المثالي للتسامح.